في ذكرى مولد الرسول

التحرير

يا صاحِ جاءتْ بالأماني أَسْعُدُ وأَطَلَّ بالْبُشرَى الكريمةِ مَوْلِدُ
هذا ربيعٌ فيهِ أُنْجِـزَ مَوْعِـدُ شهرٌ كريمٌ جاءَ فيـهِ مُحَمَّـدُ
صَلّوا عليهِ وسَلِّموا تسْليما

في مثل هذا الشهر ، شهرِ ربيع الأول ، قبلَ ألفٍ وأربعِمئةٍ وخمسٍ وعشرين سنة هـ ولد في مكة المكرمة الإنسانُ العظيم ، والنبيُّ العظيم ، والرسولُ العظيمُ محمدٌ ﷺ

في مثل هذا الشهر ولد النبيّ الرسولُ الذي أخرج الله به العربَ وكلَّ من آمن به من البشر ، من الكفر إلى الإيمان ، والشركِ إلى التوحيد ، والباطِلِ إلى الحَقّ ، والظلمِ إلى العدل ، والجهلِ إلى العلم ، والتخلّفِ إلى التقدم ؛ وَمِنَ الضعفِ إلى القوة ، والذِّلّةِ إلى العزّة ، والفُرقةِ إلى الوحدة ؛ وَمِنَ التّناكُرِ إلى التعارف ، والتنافُرِ إلى التآلف ، والعداءِ إلى الإخاءِ والتعاونِ على البرِّ والتقوى

وتعاودنا ذكرى المولد هذه السنة كما عاودتنا ذكراه على امتداد سنوات وسنوات ، والعربُ والمسلمونَ في شَرِّ أحوالِهم من الضعف والذِّلّةِ والفُرقة والتخلُّف السياسيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ والثقافيّ ، والاستبدادِ الداخليّ ،

والاحتلال الخارجيّ ، والتراجعِ المستمرِّ على كلّ صعيد ، والتفكُّكِ والتمـــزّق والتآكل والإحباط

ألا ما أحوجَ العربَ والمسلمين الآن في مختلف أوطـــانهم وأحـــوالهم إلى أن يُحيوا في أنفسهم ذكرى الرسولِ العظيم ، وفي حياتهم ومجتمعاتهم هَدْيَ الرسول العظيم ، ونهجَ الرسول العظيم ، وأن يُحْسِنوا القـــدوة بالرســـول العظـــيم ﷺ لِيَخْرُجوا بأنفسهم وأمتهم وبلادهم من ظلمات واقعهم ، ومآســـي هـــزائمهم وفرقتهم وتخلّفهم ، ويَعُودَ لهم ما فقدوه مـــن الحريـــةِ والكرامـــة ، والعدالـــةِ والسعادة ، والوحدةِ والقوة ، والتقدمِ في كلّ مجال :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الاحزاب : ٢١]

وما أحوج الإنسانية كلّها إلى أن تحيي في نفوسها وعقولهـــا وســـلوكها في أيّامها القاسيات ، وفي مُعْتَرَكِ الْعُنْـــصُرِيّات والعـــصبيّات ، ذكـــرى الرســـول الإنسان :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ... ﴾ [الكهف : ٢١]

ذكرى الرحمةِ المهداة :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الانبياء : ١٠٧]

ذكرى النبيّ الذي أعلن برسالته الإلهية الأخوّةَ الإنسانية ، والعدالة الكاملة ، والمساواة الشاملة بين البشر ، على اختلاف الأجناس والألوان والبلدان ، ودعـا البشر جميعاً إلى التعارف والتعاون على البر والتقوى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَـا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُـعُوباً وَقَبَائِـلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣]

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُـدْوَانِ ... ﴾ [المائدة : ٢]

هذا الرسولُ العظيمُ الذي ما يزال كلامه في خطبة الوداع يمـلأ القلـوب والأسماع ، ويهدي البشريةَ كلَّها إلى القيم الْمُثْلَى ، والحياةِ الفـضلى ، والنـهج الأقوم والأكرم والأسلم :

« ... إنَّ ربّكم واحد ،

وإنّ أباكم واحد .

كُلُّكم لآدم ، وآدم من تراب .

أكرمُكم عند الله أتقاكم .

ليس لِعَربيٍّ على عَجَمِيّ ،

ولا لِعَجَمِيٍّ على عربيّ ،

ولا لأَبيضَ على أسود ،

ولا لأسودَ على أبيضَ

فضلٌ إلاّ بالتقوى

اللهمّ اشْهَدْ : لقد بَلَّغْت »

إنّ العرب والمسلمين أحوج ما يكونون هذه الأيام إلى هذه الرسالة العظيمة ، والقدوة العظيمة ، في نهضتهم ، وفي بناء حاضرهم ومستقبلهم ، وفي علاقتهم بعالمهم وعصرهم

وإنّ البشر جميعاً بحاجة إلى هذه المبادئ العظيمة التي أعلنها محمد ﷺ ، وأعلنها من قَبْلُ المسيح عليه السلام ، ورسُل الله عزَّ وجلَّ

وإن العربَ والمسلمين والبشرَ أجمعين أحوجُ ما يكونون إلى التعارف والتآلف ، والتلاقي على القيم المشتركة ، والقواسم المشتركة ، والمصالح المشتركة ، والتعاون الصادق الدائب البصير ، في خدمة الإنسانية والإنسان ، وتحقيق العدالة والسعادة والسلام والخير – ما أمكن ذلك ــ في الأرض